العرب
الجمعة 2021/03/12
السنة 43 العدد 11997

خردة الحرب مصدر رزق للفقراء في سوريا

أطفال يفككون قذائف الهاون والصواريخ كلعب العيد

بعد أن تسببت في تهجيرهم وتشريدهم، يبحث بعض السوريين اليوم عن بقايا الأسلحة وآلات الحرب، لجمعها وإعادة تفكيكها وبيعها خردة لمعامل صهر الحديد، أما المتفجرات فتباع للعاملين في المقالع، لتصبح مورد رزق بعد أن كانت وسائل قتل ودمار.

معرة مصرين (سوريا) – في ساحة خردة أشبه بمستودع ذخيرة الحرب في شمال غرب سوريا، ينهمك مالك، الطفل ذو السنوات التسع، بترتيب قذائف هاون وجدت عائلته في تفكيكها وإعادة بيع حديدها مصدرا للرزق.

ويقول حسن جنيد (37 عاما)، الذي يدير مع أشقائه ساحة خردوات في بلدة معرة مصرين جنوب إدلب، "تحولت بقايا أدوات القتل التي كان يُقصف بها الناس الأبرياء في مختلف مناطق البلاد إلى باب للرزق".

وألقت الحرب بالأطفال خارج المدارس ليدخلوا سوق العمل العشوائي، ودفع الفقر بعضهم إلى الخردة بل إلى جمع الرصاص ومخلفات الحرب، لبيعها في سوق الخردة مقابل ليرات زهيدة تساعدهم على إعالة أسرهم.

جمع الخردة ليس حكرا على الرجال والأطفال فقط، بل تعمل العشرات من النساء اللواتي انخرطن في هذا المجال بعد أن فقدن السند.

ويعد جمع المعادن عملا محفوفا بالمخاطر على الأطفال، بسبب العديد من القنابل والقذائف غير المنفجرة التي يمكن أن تودي بحياتهم.

في ساحة الخردة، يستريح ثلاثة أطفال على ظهر شاحنة صدئة، وهم يلهون بقذائف هاون فارغة تذكرهم بألعاب العيد التي لم ينعموا بها منذ سنوات.

وعلى مسافة أمتار منهم، يحاول طفل آخر أن يحمل بصعوبة قذيفة، يكاد وزنها يتجاوز وزنه لكنه يكابد لإيصالها، وما إن يبلغ وجهته في الساحة لاهثا، حتى يرميها بين كومة من الذخيرة والحديد.

في العام 2016، وعلى وقع المعارك والغارات، فرّ جنيد من بلدة اللطامنة في شمال حماة، وانتقل مع عائلته وأشقائه وعائلاتهم إلى معرة مصرين.

وبعدما طال النزوح، قرر الرجل وهو أب لأربعة أطفال بينهم مالك، استئناف عمله في بيع الخردوات من بقايا سيارات وألواح حديدية وخزانات مياه، وكل ما تقع يداه عليه من حديد، وهي تجارة اعتاد عليها.

لكنّه أضاف في معرة مصرين نوعا جديدا على لائحة البضائع، يتمثل في قذائف وذخائر استخدمتها قوات النظام والفصائل المقاتلة خلال المعارك من دون أن تنفجر.

> خردة الأسلحة يشتريها البعض ليصنع منها المدافئ، ويحملها البعض الآخر إلى معامل الصهر لتحويلها إلى حديد بناء

ويقول جُنيد "حين جئنا هنا وجدنا إضافة جديدة إلى المهنة، هي القذائف التي قصفها النظام لكنها لم تنفجر".

ويعمل جنيد اليوم مع 15 شخصا من أفراد عائلته بينهم أطفال، في ساحة الخردة الضخمة. وقد اكتسبت العائلة مع الوقت التجربة الكافية لتفكيك تلك القذائف.

في بعض الأحيان، يتلقى جنيد والعاملون معه اتصالات من مدنيين وجدوا قذائف غير منفجرة قرب منازلهم، يريدون بيعها دون أن يلمسوها أو يفككوها.

وفي أحيان أخرى، يتوجهون بأنفسهم إلى مناطق شهدت قصفا أو اشتباكات، للبحث بين الركام عن ذخيرة أو رصاصات استخدمها مقاتلو الفصائل لأسلحتهم الرشاشة.

ويعمل الفريق الذي يتكون في أغلبه من القصر على تفكيك القذائف والذخائر واستخراج المواد المتفجرة منها في مكان سقوطها، قبل نقلها بشكل آمن إلى ساحة الخردة لبيعها.

ويوضح جنيد "نزيل الخطر منها ثم نبيع حديدها للصناعيين، فتكون مصدر عيش لنا".

ويضيف "منهم من يأخذها ليصنع منها المدافئ، ومنهم من يحملها إلى معامل صهر الحديد لتحويلها إلى حديد للبناء".

ولا تذهب المواد المتفجرة سدى، إذ يشتريها العاملون في المقالع لاستخدامها في تفجير الصخر، بخبرة اكتسبوها من إشعال فتيل الديناميت.

وغالبا ما تمتلئ ساحة الخردة بالقذائف بشكل خاص، بعد أن تتكثف الهجمات العسكرية على المنطقة.

ومنذ سيطرة هيئة تحرير الشام (النصرة سابقا) وفصائل مقاتلة أخرى على محافظة إدلب ومناطق محاذية لها في العام 2015، تعرضت المنطقة لقصف كثيف متبادل بين هذه الفصائل وقوات النظام السوري.

تقتل البعض وتنقذ البعض الآخر من الجوع

لا تخلو من مخاطر وهي خردة

ويقول أبوأحمد العامل في الساحة "يكثر العمل أثناء الحملات العسكرية، ويقلّ في أيام الهدوء، فنتفرغ لتفكيك ما جمعناه وتحويله إلى خردة صالحة للبيع".

ويؤكد أن "الخوف يكمن في أن تبقى القذيفة بين الأهالي، فالنساء والأطفال لا يحسنون التعامل معها".

وبحسب دائرة الأمم المتحدة للإجراءات المتعلقة بالألغام، لا تزال الألغام ومخلفات الحرب القابلة للانفجار والعبوات الناسفة، وجميعها يصعب رصدها، تُشكل خطرا على حياة الملايين من السكان في سوريا.

وتقول الأمم المتحدة إن الملايين من الأشخاص في سوريا مهددون بالتعرض لأذية المواد المتفجرة.

في الساحة الضخمة، يجد الأطفال مساحة للهو واللعب أيضا. يقول عبدالكريم (عشر سنوات)، وهو ابن شقيق جنيد، "نلعب بين السيارات ونعمل أيضا في فرز القذائف".

وألقى النزاع، الذي يدخل منتصف الشهر الحالي عامه الحادي عشر، بظلاله على أطفال سوريا. وبحسب الأمم المتحدة "بات أكثر من نصفهم يفتقرون للتعليم". لا يخفي عبدالكريم خوفه من أن تنفجر إحدى القذائف، التي يقول عنها "بتنا نعرف صاروخ الغراد وقذائف الهاون والرشاش والقنابل العنقودية". ويضيف مبتسما "تأتينا أشكال وألوان منها".

وإذا كان جنيد وإخوته قد جعلوا من خردة الحرب مورد رزقهم، فإن العديد من الفنانين السوريين بعثوا في هذه الخردة روح الفن، وصنعوا منها مجسمات وتماثيل تعبر عن حب الحياة. ففي غرفة على أطراف مدينة عين العرب كوباني شمالي، يعمل الفنان التشكيلي الكردي نشأت عمي، على تجميع بقايا الذخيرة والقنابل والصواريخ والقذائف والرصاص، وبقايا هياكل الدبّابات المعطوبة والمدرعات التي خلفها الدواعش، وتشكيلها في مجسمات فنية.

أما البحار السوري محمود حمود، فقد جعل مما تركته الحرب من خردة هواية مفضلة لصنع مجسمات لتكون "ذكرى حرب قاسية على كل السوريين".

الوباء يدفع الإسبانيات إلى شوارع الدعارة في مايوركا

مدريد – أدى إغلاق الأنشطة الاقتصادية بسبب جائحة كورونا إلى خلو شوارع مدينة بالما، عاصمة جزيرة مايوركا الإسبانية، من المارة لعدة أسابيع، مما جعل من السهل ملاحظة سير مجموعة من النسوة على غير هدى ذهابا وإيابا عبر ميدان سانت أنطونيو، وكن أحيانا يسندن ظهورهن إلى جدران المباني وهن يدخّن، وأحيانا أخرى يتبادلن الحديث مع مجموعات صغيرة من النساء أو يجلسن على الأرصفة، في انتظار قدوم الزبائن، الرجال، رغم هطول المطر.

وهؤلاء النسوة هنّ في الغالب أمهات معيلات يعشن دون أزواج، وقد تحولن لأول مرة إلى عالم البغاء، ومنهن من يتقن إلى الحصول على المال بعد أن ضاقت بهن سبل العيش، وفقدن الوظائف كمضيفات في المطاعم أو عاملات نظافة، بسبب الجائحة وتأثيرها المدمر على حركة السياحة.

وقالت إنماكيولادا ماس نادال ورافا كامبوس، من منظمة أطباء بلا حدود، "بالنسبة إلى الكثيرات منهن، فإن الدخول إلى عالم الدعارة أو العودة إليه، هو السبيل الوحيد لتوفير نفقات المعيشة لأسرهن".

ومع بداية انتشار فايروس كورونا أقرت وزيرة المساواة الإسبانية إيرينى مونتيرو، بتجنب انتقال العدوى من خلال إغلاق بيوت الدعارة، مما ولد حالة من الغضب لأن هذا الإجراء سيتسبب في وجود أكثر من 60 ألف امرأة دون أموال بحسب جمعيات مختلفة.

وتشير التقديرات إلى وجود حوالي 1500 بيت دعارة في إسبانيا وهناك بيوت دعارة متخفية لم يتم تسجيلها.

وفي عام 2020 قدمت المنظمة الدعم لنحو 1168 امرأة ممن يقدمن الخدمات الجنسية في مايوركا وعدد آخر من جزر البليار، وهي منطقة في إسبانيا لا توجد فيها قواعد قانونية واضحة بالنسبة إلى ممارسة البغاء، ومن بينهن سعت 439 امرأة للحصول على المساعدة للمرة الأولى.

وتقول ماجدلينا ألومار من منظمة "كاسال بيتيت" غير الربحية، إن الكثير من أولئك النسوة دخلن إلى هذا المجال لأول مرة في حياتهن.

وفي مقابلة مع صحيفة "ألتيما هورا" المحلية، قالت ليلى إنها جديدة في ممارسة هذا العمل، بعد أن فقدت وظيفتها بسبب الجائحة، حيث كانت تعمل طاهية بأحد المطاعم.

وتتكتّم ليلى على طبيعة عملها، ولا تعلم أسرتها بما تفعله، ولكنها تقول "يتعيّن عليّ أن أرسل نقودا إلى أمي وإخوتي، فنحن فقراء".

ومع ذلك فهي لا تكسب من مهنتها الجديدة الكثير من المال، حيث قالت للصحيفة إنها لم تعثر على زبون واحد منذ عدة أيام.

وتوضح جوامي بيرللو من منظمة "كاسال بيتيت"، أن تزايد عدد العاملات في مجال البغاء مع تقلص الطلب أدى إلى انخفاض سعر "الخدمة الكاملة" ليصل إلى 15 يورو (18 دولارا)، وذلك بمنطقة وسط مدينة بالما، وليس بعيدا عن حي باسيج ديل بورن أحد مناطق التسوق الراقية التي تلقى إقبالا.

وذكرت صحيفة "ألتيما هورا" أن النسوة يعملن 12 ساعة في اليوم، ولكن تحصل الواحدة منهن على نحو 100 يورو في الأسبوع. واضطرت الكثيرات منهن إلى تخفيض سعرهن، كما يوافقن على ممارسة العمل دون حماية بسبب ارتفاع مستوى المنافسة، وفقا لما تقوله منظمة "أطباء العالم"، وأصبحت أيضا لدى الزبائن فرصة أكبر للمساومة.

ومن ناحية أخرى صارت ظروف العمل أكثر خطورة مقارنة بالفترة السابقة، وليس ذلك فقط بسبب الجائحة، حيث يمارس القوادون والأطراف الأخرى التي تسهّل الدعارة المزيد من الضغوط على النسوة، على حد قول العاملين بمنظمات تقديم المساعدة.

وفي ميدان سانت أنطونيو تقول معظم النسوة للصحافيين، إنهن لا يستعن بالقوادين، غير أن بيرللو ترى أنهن لا يقلن الحقيقة. وبعضهن مدينات بمبالغ تصل إلى سبعة آلاف يورو لشبكات الاتجار بالبشر التي نقلتهن إلى إسبانيا، وهذه الديون تجبرهن على العمل مقابل أي سعر متاح، وفقا لما تقوله بيرللو، وقد بات العنف المادي والنفسي جزءا من حياتهن اليومية.

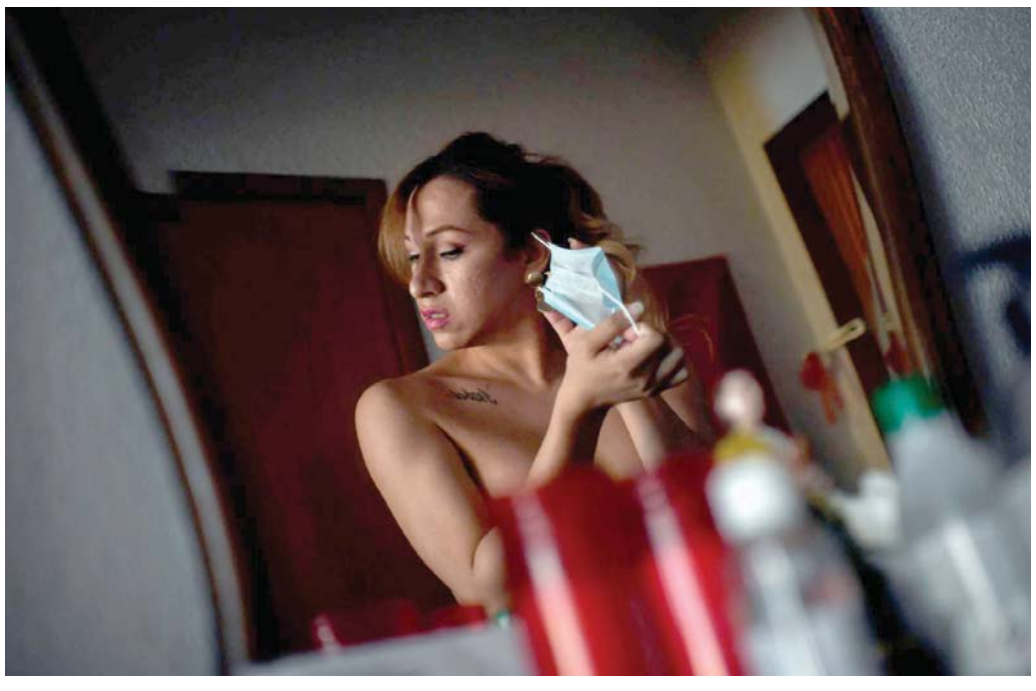

الجوع يدوس على الكرامة

وتشير منظمة "أطباء العالم" إلى أن ثلثي عدد العاملات في مجال البغاء لديهن أسر في حاجة للمساعدة، كما أن ما نسبته 80 في المئة منهن أمهات يعشن بمفردهن ويعلن أطفالهن.

ومعظمهن مهاجرات من كولومبيا ورومانيا، وبعضهن من مايوركا نفسها، وكن يعملن في السابق كعاملات نظافة أو في رعاية الأطفال والمسنين، ولكن دون مقابل، وهو ما جعل إمكانية الاستغناء عنهن أكثر سهولة عندما تفشت الجائحة، ولا تنطبق عليهن منح بدل البطالة، أو الحصول على ميزة الدعم مع تقليل عدد ساعات العمل.

وبالرغم من أن ماريا تركت العمل في البغاء قبل عدة أعوام لتعمل في مجال التنظيف، إلا أنها اضطرت الآن وقد بلغت من العمر 53 عاما لأن تعود إلى الشوارع مرة أخرى لتمارس مهنتها السابقة، وهي تقول "لم يعد أمامي أي بديل".

وتشير دراسة أجرتها جامعة جزر البليار إلى تزايد معدلات الفقر، حيث تضاعف عدد الأشخاص الذين يعيشون في فقر مدقع ليصل إلى 34 ألفا العام الماضي، وهناك شعور واضح بالبؤس يسود الجزر التي كانت تعدّ في السابق مقاصد شهيرة للاحتفالات والبهجة.